ملامح الأرواح

- هل سمعت أن شارلس لوتون سيمثل هتلر للسينما؟

- قرأت ذلك ومن يومها وأنا مشتاق لمشاهدة لوتون في هتلر

- أظن أنه لم ينجح

- لماذا؟

- لأن لوتون طويل عريض، وهتلر ضئيل الجسم

- وأي شيء في هذا؟ إن الذي سيمثله لوتون من هتلر نفسه لا بدنه -ولكن هذه الصورة الحاضرة في أذهاننا والتي نعرف بها هتلر لا يمكن أن يمحوها لوتون بتمثيله، وسيذكر الناس عندما يرونه أنه ممثل يمثل، بل قد يرى بعض الناس أنه ممثل أغتصب دورًا ليس هو أهلًا له.

- هذا يخيل إليك. وقد يكون الذي تقولين حقًا إذا كان الممثل ضعيفًا... ولكن لوتون. ألم تريه في هنري الثامن؟ لقد كان هو هنري الثامن.

- لأنه يشبه هنري الثامن كثيرًا في جسمه، وعلى الخصوص في وجهه...

- صحيح! فكيف رأيت هاري بور في بتهوفن؟ هاري بور طويل عريض هو أيضًا وكان بتهوفن ضئيل الجسم مثل هتلر، ومع هذا فلا أظن أحدًا من النظارة أحس شيئًا من الكذب في بتهوفن الذي أخرجه

هاري بور... اللهم إلا أولئك الذين يذهبون إلى السينما ليعرضوا على الناس أجسامهم وأزياءهم...

- قد يكون التوفيق أتيح لهاري بور في بتهوفن، لأن هاري بور ممثل وبتهوفن موسيقي، وليس عسيرًا على الفنان أن يدرك الدخائل في نفس فنان مثله، فإذا حاكاه ومثله كان كمن يحاكي نفسه ويمثلها...

- واللّه إنها فكرة لم أكن أتوقع أن تجول في ذهنك، وإنها لجديرة بالتأمل والدرس، وإنك لجدير بالمكافأة عليها... خذي هذه النكلة...

- شكرًا. سأعلقها على باب البيت تعويذة وحجابًا دون إبليس...

- بل أعيديها فقد وجدت الرد... هات... إن هتلر أيضًا ممثل

- رحت في داهية! هل أنت ممن يؤمنون بهذا الذي يدعيه من أنه فنان؟!.

- ليس هذا قصدي، وإنما الذي أقصد إليه هو أن الناس جميعًا يمثلون.

- آه. هذه فكرة أخرى. ولكن ألا ترين أن فكرتك هذه لو كانت صحيحة لما ارتفع سعر التمثيل.

في الدنيا، ولما كان أجر الممثل المجيد آلاف الريالات ومئات الجنيهات في الدور الذي لا يستغرق منه إلا الساعات القليلة...

- الحق معك

- إذن فرأيك غير صحيح...

- لماذا؟ أفلا يستطيع الحق أن يكون معك وأن يكون معي في الوقت نفسه؟

- يستطيع. قادر على كل شيء...

- ولا قادر غيره... والتوفيق بين الذي تقولين وبين الذي أقول يسير. فأما أن كل الناس ممثلون فهذا حق. وأما أن أندر الناس هم الذين يستطيعون أن يمثلوا فهذا حق أيضًا، فالناس كالأواني: كل آنية تصلح لأن تعبأ بما يملؤها، فإذا امتلأت لم تعد تصلح لأن تمتلئ مرة أخرى، إلا إذا فرغت. ومن الناس من يملك نفسه يملؤها ويفرغها وهؤلاء هم الممثلون المجيدون، ومنهم من امتلأت نفسه مرة فاكتظت وجمد حشوها فيها فلم يعد ميسورًا أن تفرغ وأن تملأ. ومن هؤلاء محمد عبد الوهاب فهو يمثل على نفسه وعلى الناس دور الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء وقد (عقد) هذا الدور في نفسه فكلما مثل دورًا ظهر فيه بمظهر الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء مهما تطلب منه هذا الدور الجديد شيئًا من البؤس، أو شيئًا من الخيبة، أو شيئًا من اليأس. زيدي على ذلك أن الصورة التي رسمها عبد الوهاب لنفسه في خياله صورة متكلفة ليس فيها من الحقيقة شيء، فقد عرف الناس هنا في مصر مطربًا كان الملوك والأمراء والعظماء يطلبونه حقًا ويسعون إليه ويكرمونه كل التكريم ولم يكن فيه شيء من هذه الأرستقراطية التي يلبسها عبد الوهاب فيتعثر في أذيالها، ذلك هو المرحوم عبده الحامولي تؤكد الروايات أنه كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

- وهل لا يأكل عبد الوهاب الطعام ويمشي في الأسواق؟

- حاشا لله. وإن أكل فتنازل، وإن مشى فكما كان يمشي هرون الرشيد.

- إني لا أحب فيك هذا التعصب على عبد الوهاب. وإن الذي تأخذه عليه يمكن أن آخذه على شارلي شابلن نفسه، لشارلي أيضًا

لوازم تبدو في كل أفلامه: قبعته وعصاه وشارباه ومشيته وحذاؤه وتلعيب فمه ومسحه الحذاء في البنطلون وهزة كتفيه.

- صحيح صحيح... ولكنك نسيت أن شارلي يمثل في كل أفلامه شخصًا واحدًا هو ذلك المتشرد الحائر الذي يطارده المجتمع في أغلب الأحياء، ولا يعطف عليه إلا في أقل الأحيان. وروايات شارلي شابلن كلها يمكن أن توصل وأن تعرض على أنها حوادث حدثت لهذا المتشرد. وعلى هذا الأساس فإنه ليس عجيبًا أن يلزم هذا المتشرد حركات وسكنات وإشارات خاصة هي هذه التي تقولين عنها.

- طيب. ونجيب الريحاني الذي تشهد له بالتفوق. أليست له هو مواهب أيضًا لازمة لا تخلو منها رواية من رواياته هي هذه (المطة) التي يختم بها أكثر جمله وعباراته.

- صحيح أيضًا. ولكنك أيضًا نسيت أن هذه (المطة) هي من آثار كشكش بك في نجيب الريحاني، فقد كان نجيب مثل شارلي يمثل شخصًا واحدًا هو عمدة كفر البلاص، وكان هذا العمدة لا ينجو من مأزق حتى يقع في مأزق، وكانت الحيرة والدهشة و(اللخمة) تأخذه من أول الرواية إلى آخرها، وكان يستغيث، وكان يلوم، وكان يسترحم، وكل هذا يستدعي منه هذه (المطة) فلزمته ولكنه بدأ يتخلص منها فهي لا تعاوده الآن إلا نادرًا.

- ولم تلجأ إلى هذا التعسف ولا تقول إن لكل ممثل أسلوبه الخاص به.

- لأن موضوعنا هذا لا صلة له بأسلوب الممثل. وإنما أسلوب الممثل شيء آخر.

- هو الطريقة التي يتذوق بها الممثل الناس، والتي يعرض بها بعد ذلك هؤلاء الناس.

- وكيف يتذوق الممثل الناس؟

- للأرواح ملامح كما للأجسام ملامح، ومن الممثلين من ينعم النظر في هذه الملامح حتى يحصرها كلها، ومنهم من يروعه بعضها فيقف عنده ولا يعود يرى غيره، أو يرى غيره ولا يهتم به. والممثل بعد أن يشبع من التمعن في هذه الملامح الروحية يبدأ فيرسمها في نفسه هو، ويشكل روحه بشكلها ويكون تمثيله بعد ذلك إبرازًا لها، وأقدر الممثلين على هذا من لم تكن لروحه هو ملامح قوية ناتئة تستعصي تغطيتها على الماكياج الروحي، وهؤلاء الممثلون القادرون هم الذين تكون نفوسهم شديدة الشبه بنفوس الأطفال فهي بريئة صافية تعيش على الفطرة والحق، ولعلك قد لحظت أن الأطفال أقدر من غيرهم على تقليد الناس وتصوير نفوسهم والمظاهر الواضحة التي تنثرها نفوسهم على أجسامهم... ولو كان الناس كلهم يعيشون على الفطرة وعلى الحق لكثرت بينهم أوجه الشبه، بل ربما كانت أشكالهم تتوحد فلا يكون بينها خلاف، والذي يعزز هذا الرأي هو ما نراه من توحد أشكال الحيوانات التي من فصيلة واحدة - ولا أقول ألوانها - فهذا التوحد لا مرجع له إلا أن الحيوانات تسلك في حياتها المسلك الفطري الحق.

- فكأنك تقول إن اختلاف ملامح الوجوه في الناس يرجع إلى اختلاف الملامح في أرواحهم.

- هو هذا. وإن كنت لا أنكر آثار البيئة والوراثة وغيرهما

- ومعنى هذا أن الذي يسيطر على حياة الإنسان نفسه وليس بدنه وغريزته الجنسية كما يقول فرويد.

- لو كانت الغريزة الجنسية هي التي تسيطر على حياة الإنسان لما اختلفت أشكال الناس، وإنما الغريزة الجنسية نفسها تخضع لذوق الإنسان والذوق عامل نفسي لا بدني.

- ولكنك قلت مرة إن له مرجعًا يرده إلى كهرباء الجسم

- وقلت لك وقتها إني أستعمل كلمة الكهرباء حيث أريد أن أقول (الروح) وإني أختارها لأضمن ارتياحك وارتياح الناس إليها فهي عند أهل هذا العصر أقرب إلى العقل من كلمة الروح...

- فهل تريدني أن أعرف الروح على أنها كهرباء؟

- يصح ولكن على أن تكون كهرباء لها إرادة ولها عقل ولها عواطف ولها ذاكرة ولها أمل ولها صلة بالماضي ولها صلة بالمستقبل ولها كل ما للحياة من مميزات تسمو بها على الجمود والموت.

- ملامح الأرواح التي تتحدث عنها هي ملامح هذه الكهرباء...

- ولم لا؟ فهناك إنسان قوته ألف شمعة، وهناك إنسان قوته خمس شمعات، وهناك إنسان كهرباؤه مائة فولت وهناك إنسان كهرباؤه عشرون. وهناك إنسان كهرباؤه مستقاة من دينامو، وهناك إنسان (ببطارية)، وهناك إنسان كهرباؤه صواعق، وهناك إنسان كهرباؤه شرر... وهناك وهناك... وكل هذا يحسه الممثل المجيد ويستطيع أن يقلده...

- فإذا قصرت قوة الكهرباء في الممثل عن قوة الشخص الذي يريد أن يمثله فماذا يصنع؟

- لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا أراد الممثل أن يقلد طفلًا صغيرًا... وكلما كان أصغر كان تمثيله أصعب.

- ومعنى هذا أن في الطفل كمية من الكهرباء أوفر مما في الكبير...

- لا. وإنما معناه أن درجة وضوح الروح في الطفل أكبر منها في الكبير. فالطفل إذا فرح ظهر عليه الفرح فياضًا جارفًا، وهو إذا غضب لم يمكنه أن يكتم غضبه وإنما أرسله قويًا عنيفًا وهذا شيء لا يقوى عليه إلا هو أو ممثل فيه من هذا الوضوح ما في نفوس الأطفال. وهذا الوضوح الذي يستوجبه التمثيل، وهذه البراءة التي تستلزمها المحاكاة هي التي تحول بين النساء وبين النبوغ في هذا الفن... إلا النادرات النوادر منهن...

- ولماذا؟

- لأن النساء لا يعشن على الفطرة مطلقًا وإنما كل منهن تمثل في حياتها دورًا خاصًا.

- بل أدوارًا

- لا... لو أن النساء كن يمثلن أدوارًا مختلفة لقلنا إنهن قادرات على التمثيل، ولكن هذه الأثواب المختلفة التي تبدو عليهن إنما يلبسنها في دور واحد يظللن يمثلنه طول الحياة وهو دور حواء.

- وهل سيطلب المسرح منهن أو السينما أن يمثلن دورًا آخر

- نعم، والمشكلة هنا أصلها أن الذين يؤلفون الروايات رجال، والرجل مهما ألم بنفس المرأة ومهما أحاط بها فهو لا يرضى أو لا يستطيع أن يظهرها في تأليفه على صورتها الطبيعية، وإنما يكتب لها عادة صورة أقرب إلى الروحانية من صورتها، وهذه الروحانية أمر صلة المرأة به صلة بعيدة ولذلك فإنها لا تدركها الإدراك التام ولا تخرجها الإخراج الصحيح.

- فهو عيب الرجال الذين لا يطبقون أدبهم على الواقع...

- إنه العيب الذي ينزعون إليه بأدبهم وفنونهم محاولين به أن ينقذوا الحياة من شر الواقع...

- ولكن لماذا نقول إن صلة المرأة بالروحانية صلة بعيدة

- لأن المرأة تبدأ في صناعة التمثيل من سن مبكرة فالتمثيل عونها على الإغراء، وهو ستارها، وهو سلاحها... وكي أثبت لك ما أقول أسألك كم مرة مثلت النساء في السينما مريم العذراء وجان دارك مثلًا وكم مرة مثلت النساء في السينما كليوباترا؟ إن مريم العذراء لم تمثلها إلى اليوم ممثلة وجان دارك مثلتها ممثلة فرنسية لشركة باتيه منذ خمسة عشر عامًا على ما أذكر... أو أكثر... أما كليوباترا فقد مثلتها ممثلات كثيرات وفي أوقات مختلفة...

- وعلى أي شيء تستدل بهذا؟

- أستدل به على أن النساء أقرب إلى كليوباترا منهن إلى جان دارك ومريم العذراء.

- ولكن لمريم العذراء قدسية لا تحب شركات السينما أن تمسها.

- لقد مثلت شركات السينما المسيح نفسه...

- طيب... وجان دارك هذه لم تكن امرأة وإنما كانت رجلًا...

- إنها التي بذلت نفسها في سبيل وطنها... أنا معك لم تكن امرأة.

٣٨٨

- حقك اليوم أن أبخرك... كتاب في يدك، وتقرأ في الطريق؟

- ليس هذا كتابًا، وإنما هو دليل المعرض الدولي لفن التصوير الشمسي الذي تقيمه الآن جمعية محبي الفنون الجميلة... هل لك أن تصحبيني إليه لعلنا نرى شيئًا جميلًا؟

- يسرني هذا... هيا... فهي فرصة قد أقتنع فيها بأن التصوير الشمسي فن.

- أو لم تقتنعي بذلك إلى اليوم؟

- أحيانًا أقتنع، وأعود في أغلب الأحايين فأشك، وتجئ أحيان أنكر فيها إنكارًا.

- ما دمت تقتنعين أحيانًا، ولو قليلة، فإن هذا يدل على أن التصوير الشمسي فن، أما هذه الأحيان التي ينبعث فيها الشك من نفسك، والتي ينبعث فيها الإنكار، فلذنب فيها ليس ذنب التصوير الشمسي، وإنما هو ذنب المصورين الشمسيين، ولكي يتضح لك هذا عودي بالذاكرة إلى الصورة التي أعجبتك، والى الصور التي لم تعجبك، وحاولي أن تلمسي الفروق بين هذه وتلك لترى أنها كانت إصابات من مصورين وإخفاقات من آخرين... فبين المصورين من يطوف بآلته يلتقط الصور لكل ما يراه، وهذا يشبه في الشعراء الدكتور زكي أبا شادي الذي لا يستعصي شيء على شعره، فهو يستطيع بقوة الله أن يقول الشعر في الزهرة، وفي السحابة، وفي النملة، وفي البلاطة، وفي القمر، وفي القلقاس وفي كأس الخمر، وفي (كوز حمام)، وفي

الراقصة الرشيقة، وفي (الترسة) المتثاقلة، وفي الزمرد والياقوت وكلورور الصوديوم وبيكربونات الصودا وهناك نوع آخر بين المصورين للواحد منهم محل يذهب إليه الناس ليصورهم بالأجر، وأغلب هؤلاء يشبهون الكتاب العموميين الذين يكتبون للناس ما يريدون كتابته بالأجر أيضًا، والذين يكتبون فيما يكتبون فرحًا وحزنًا، وبشرى وإنذارًا وحوادث وأخبارًا من غير أن تهتز في أنفسهم خلجة ولا عاطفة، وأقلهم تطيب لهم بعض الوجوه فيخرجون لها أحسن الصور... وفي الكتاب العموميين أيضًا من يفعل مثل هذا إذ تطيب له بعض الموضوعات فينطلق قلمه بأحسن ما يكتب... وهناك نوع ثالث بين المصورين له اتجاه خاص، فهو لا يصور كل شيء، وإنما يصور ما يروقه فقط، وإنما تتجذب نفسه إلى معان خاصة يرتاح لها، ومن هذه المعاني ما قد يُسعد ومنها ما قد يغذي الألم في نفس الفنان ويسقيه، وهؤلاء المصورون يشبهون كل فنان من أولئك الذين يمتاز الواحد منهم بطابعه الخاص وبلونه النفساني... وفي هؤلاء المصورين جميعًا الصادقون، وفيهم الكاذبون، وفيهم الهادئون، وفيهم المتكلفون وفيهم الجادون، وفيهم الساخرون... وللتصوير الشمسي بعد ذلك عالم كما أنه لكل فن عالم، وفي عالم التصوير الشمسي تجار يبيعون ويشترون، وفيه سماسرة يروجون، وفيه ناس طيبون يستهلكون، وفيه أدعياء يتحككون بالفن ويقتنون الصور، ويتأنقون في صنع (براويزها) وهم أبعد ما يكونون عن الفن، أبعد ما يكونون...

- كأني بك تريد أن تقول شيئًا في نفسك ولكنك تمسكه

- وهل خلَّيت شيئًا لم أقله؟ إلا أني معجب برئيس مجلس شيوخنا الذي يهتم كثيرًا بالفنون الجميلة، وبهذه الروح الطيبة التي يرعى بها الفن كل من المسيو مارسيل فنسينو رئيس البنك العقاري المصري،

ورينيه قطاوي بك مدير شركة وادي كوم امبو ويوسف قطاوى باشا الوزير السابق، والدكتور على باشا إبراهيم، وحافظ عفيفي باشا، وسعادة محمد طاهر باشا رئيس لجنة الرياضة الأهلية، وفؤاد أباظة باشا المدير العام للجمعية الزراعية الملكية والمسيو نوس مدير شركة السكر، والمسيو ريشارد موصيري الوكيل المفوض لبنك يوسف نسيم موصيري (أولاده وشركاهم)، وسائر أولئك النبلاء الذين يعطفون على الفن... ليس في نفسي إلا أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر فيها هؤلاء الرجال الكبار باسم الفن. فهم من غير شك يضحون كثيرًا من وقتهم الغالي، والغالي حقًا في سبيل التهذيب الروحي يرقون عن طريقه بأبناء هذه البلاد.

- هل تعرف أن هؤلاء لو اهتموا بالفنانين الذين تؤثر فنونهم في الشعب تأثيرًا قويًا لأجدوا على بلادهم خير جدوى. ولأزدهر الأدب والتمثيل والموسيقى و.

- اللّه حبب هؤلاء في التصوير الشمسي، وللفنون التي تتحدثين عنها قضاء آخر عند اللّه هو مقدِّرُه، فاشكري اللّه على ما قُسم. واسكتي الآن فقد وصلنا...

- اللّه... تعال هنا... عند (٤١) إنها فتاة حلوة رائعة، أليس كذلك...

- من غير شك... و(٢٨) أيضًا رائعة... وأظنك ترين الفرق واضحًا بين هذه وتلك. (٤١) فتاة مليحة أعجب بها مصورها (عزام جمال)، ولا ريب أنه شاب عذب القلب فيه كثير من أخلاق الصبيان... و(٢٨) شاب في أواخر الشباب أعجبت به مصورته (آسيا)، وهي لا ريب فتاة عاتية، فإذا كانت رجلًا متنكرًا باسم مؤنث، فهو رجل فيه رحمة وفيه حنان ولين...

- وهل تعرف أنت (عزام جمال) و(آسيا) وتعرف أخلاقهما؟ ...

- لا يا روحي... وإنما نفساهما في هاتين الصورتين... فالذي اختار هذا الوجه الصبوح الضحوك المنبسط الذي لا تجاعيد فيه ولا حزون تصوره هذه الصورة، لا بد أن يكون من عشاق الصباحة والضحك والانبساط والصراحة والوضوح... وإلا فلماذا اختار هذا الوجه وصوره؟ ... أما (آسيا) فقد صورت هذا الشاب المتكسر الشباب الذي يطل الشقاء من إحدى عينيه ويطل الصبر من الأخرى، فلا بد أن تكون من اللواتي يستهويهن الشباب المولَى واللواتي يطربن إذا رأين في عيون الناس صبرًا وشقوة، وهذا لا تحبه إلا نفس الأنثى العاتية. فإذا طرب له رجل فبالرحمة يطرب له، وبالشفقة يستجيب إلى صبره، وبالتعزية يواسي شقاءه.

- ولم لا يكون الرجل قاسيًا عاتيًا هو أيضًا يحب أن يرى في عيون الناس الصبر والشقاء.

- هذا لا يكون إلا في الرجال الجلادين، وأنا لا أظن أن الذي صور هذه الصورة هو (عشماوي) متنكرًا باسم آسيا. من يدري... تعال إلى (٣٨) هذه... امرأة تنظر من النافذة مهتمة متلهفة هذه الصورة روماني اسمه افرامسكو ويسمنها (انتظار).

- ليت هذا المصور ذاد هذه المرأة عن النافذة قبل أن يلتقط هذه الصورة... فقد كانت عندئذ تظهر صورة ساكنة لبيت ساكن...

- ولكنه يخيل إلى أنه هو الذي دعاها لتقف في النافذة هذه الوقفة، ولتطل هذه الإطلالة، ولتهتم هذا الاهتمام، ولتتلهف هذه اللهفة...

- وأنا يخيل إليّ هذا أيضًا، وهذا هو ما يفسد عليّ الاستمتاع بهذه الصورة، ذلك أن هذه السيدة عند ما أرادت أن تلبي دعوة هذا المصور لبتها بإخلاص شديد جدًا له هو، فقد مطت نفسها في النافذة مطة ثعبانية، ثم نثرت في وجهها من علامات الاهتمام ما لا يمكن أن يبدو على وجه إنسان إلا إذا كان يرقب موكب الملائكة يوم الحشر، وتلهفت تلهفًا لا يمكن أن يتلهفه إنسان إلا إذا كان يرقب انشقاق السماء ليلة القدر حسبما يقولون ويروون... ومع أنها أدت هذه النوازع هذا الأداء المكبر، فإنها لم تستطع أن تخفي ما كان يجب عليها أن تخفيه وهو شعورها بأنها تعمل هذا كله كي يصورها الأستاذ أفرامسكو.

- إذن فهذه صورة فاشلة...

- يؤلمني أن أقول هذا... ولكني أعتقد أن في هذا تعزية كبيرة للأستاذ أفرامسكو، فهو دليل صادق جدًا على أن هذه الشابة مطاوعة له مخلصة لفكرته تود له من صميم قلبها أن ينجح... وهذا أمر من غير شك يرضيه...

- من يدري مرة أخرى... فلربما كان يريد أفرامسكو أن تفوز صورته بإعجابك وإعجاب غيرك من النقاد، ولو كان ثمن هذا الفوز روح هذه التي تقول إنها مخلصة... الست تعرف أصحاب الفن وسخفهم... من منهم جازي المخلصة إلا بكارثة...

- خذا موضوع آخر لا أوافقك فيه على رأيك هذا على الرغم من أن بعض الظواهر قد تؤيده... ولكن هذا ليس وقته... تعالى... سأختار أنا لك صورة...

- تعالى، انظري إلى هذه... (٣٨٨) ...

- انتظر لأرى من صاحبها... إنها من رسم سيدة أسمها مدام رايفون وهي من لندن، وقد سمت هذه الصورة (صورة). فقط... وهي صاحبة (٣٨٩) أيضًا وقد سمتها (عيد)...

- عظيم... وهل تعجبك (٣٨٩) هذه؟ فيها جمال حقًا ولكن (٣٨٨) أبدع، وهي من غير شك أبدع ما في هذا المعرض...

- ولكن لا يزال أمامنا جزء من المعرض لم نره لعل فيه ما هو أبدع من هذه الصورة.

- قد يكون هناك ما يساويها. ولكن لا أعتقد أن هناك ما هو أبدع منها... فقد قالت المصورة في هذه الصورة كل ما يمكن أن يقال.

- ولكني أرى في هذه الصورة تكلفًا كالذي رأيته أنت في صورة التي تنظر من النافذة...

- خسئ ما ترين... أين هو التكلف؟ ...

- الصورة صورة شاب لا شك في أنه أوربي، ومع هذا فهو يلبس ملابس المماليك الأتراك أو الشركس، طربوش يوناني أو عثماني كبير كطربوش تمثال إبراهيم باشا، وقميص من الحرير، وصديري مفتوح، وحزام حرير يطل منه خنجر، و(سروال) ارتفع إلى مادون ركبتيه بقليل من أثر جلسته، فظهر جزءان من ساقيه... ثم هذه (البلغة الفاسية) التي أظن أنه كان يجب أن يكون مكانها (مركوب) أحمر أو أخضر ليماشي هذه الملابس التي لم يكن أهلها يعرفون (البُلغ) وأخيرًا هذه الجلسة نفسها على هذه القطعة المخروطة من الخشب التي لا طبيعة فيها ولا صناعة والتي لا تشبه جذع الشجرة، والتي ليس مثلها كرسي، التي تكاد تكون صنعت خاصة لهذه الصورة... أو هناك تكلف بعد هذا كله؟.

- هذا الذي تسمينه تكلفًا هو ما أسمه أنا إخراجًا... فصاحبة هذه الصورة لها خيال تحبه حققته فيها بهذا الأسلوب الذين ترين. فاختارت هذا الفتى الذي فيه ملامح خيالها المحبوب والذي تتعسفين كثيرًا إذ تؤكدين أنه أوربي، لأنه قد يكون كما تقولين وقد يكون شرقيًّا أيضًا، وهو كما ترين ممن يشهد الرجال لهم بالحلاوة والعذوبة، فما بالك بشهادة النساء؟ جبهة عريضة لم يغطها هذا الطربوش العميق الضخم وإن كان أخفى منها جزءًا وهي جبهة تدل على الذكاء والذكاء محبوب، وعيناه دعجاوان تنبعث منهما نظرة مرتاحة متأنقة كأنما تنتقي وتختار، وأنفه دقيق منتظم جميل، تناسق بتناسق نفسه واعتدل باعتدال مزاجه، ووجنتاه بارزتان بروزًا خفيفًا ينفي عن وجهه تراكم اللحم وغلظ الجلد، وعن روحه ثقل الظل وجمود الحس، وفيه واسع ولكنه يبدو كالضيق لأنه مكون من ثلاثة مستقيمات: واحد منهما متقدم والآخران منكسران عنه بزاويتين إلى الوراء فكل منهما في جانب والفم الواسع ترينه دائمًا للمغنين والمتحدثين ذوي اللباقة وحسن التأثير، كما أن له أذنين مرتفعتين غير صغيرتين تفتحتا للسمع والإصغاء وشفتاه لا هما رقيقتان قاسيتان ولا غليظتان بربريتان، وذقنه صغير طري كذقون الأطفال الأصفياء، وأصابعه طويلة دقيقة خلقت للترفه والعبث وفي إحداها هذا الخاتم المرصع باللآلئ والياقوت استغراقًا منه في جو النساء واصطناعًا منه لما تحبه النساء، وصدره قد انكشف عن القميص فبدا شعره كما بدا الشعر في ساقيه، والشعر في الرجل خشونة تنجذب إليها المرأة الناعمة... وهذه الملابس الشرقية التي تسخرين منها هي حلم من الأحلام يتردد في نفوس أهل الغرب، كما يتردد في نفوس الشرقيين الأمل في مشاهدة باريس وفيينا وبوخارست... وهذه القطعة من الخشب التي تعيبينها هي القاعدة التي أقامت المصورة عليها هذا الموضوع كله بما فيه من الفكرة والعاطفة

والخيال بهذا الأسلوب الواضح المستقيم، والذي لا أظن أن غيرها يشاركها فيه إلا من كان مثلها منساقًا في فنه إلى طبيعته وفطرته. وهذه هي المرتبة العليا من مراتب الفن.

- وما رأيك في (٣٨٩)؟

- هي غطاء لهذه الصورة الجريئة الحلوة، فالسيدة رايفون لم تشأ أن تعرض (٣٨٨) وحدها لئلا يفهم أن لها اتجاهًا نفسانيًا خاصًا فجاءت بهذا (العيد) كما تسميه، وصورته فتاتين أسبانيتين بينهما شاب جميل المظهر حقًا، ولكنه كالدمية البلهاء، حتى إذا رأى الناس هذه الصورة رأوا فيها طهارة تجري مع التقاليد والعرف والآداب العامة، وتمحو أثر الصورة السابقة أو ما يمكن أن يكون لها من أثر، ولعلها جعلت (العيد) تاليًا لصورة هذا الفتى تجيء بعدها في الترتيب لهذا الغرض نفسه، ولعلها أمسكت عن تسمية صورة الفتى بأي اسم من الأسماء تكتما أيضًا...

- وهل الفن عيب يتكتمه الناس؟

- ليس فيه من عيب، ولكن ناسا يخشون ما فيه من الحق وناسًا يسيئون تفهم هذا الحق، وناسًا يتخذون الحق سلاحًا يقتلون به الفنانين في نظر الجمهور قتلًا باطلًا وبهتانًا... على أي حال... إنك فتاة وتستطيعين عني أن تشيعي قبلة الإعجاب إلى صاحبة (٣٨٨) ...